ففي الصفحة ١٥٣ (العمود الاول) يقول صراحة : « لا بد ... من البوح ولو بهمس بان ما كتبه [المؤلف]وبالطريقة الذي عرضها ، عن عذابات اليهود والمذابح التي تعرضوا لها في اوروبا الشرقية [وكان عليه ان يضيف « في روسيا القيصرية ايضا » ، لان هذا ما كتبناه فعلا] والمؤامرات التي ... حيكت ضدهم لا توقظ في القارىء العادي اكثر من تعاطف مع الصهيونية » . ولا بد من التنويه رأسا ، وبسرعة ، ان هذا القول الذي يدل على ان صاحبه يعتبر كل يهودي صهيونيا يدفعنا الى اتهام سمير ايوب ـ لا همسا ، بل علنا ، صراحة وكتابة ـ بانه مصاب بجراثيم العنصرية المقيتة . ان الخلط بين اليهود والصهيونية يكاد يعتبر نازية مستحدثة، وهو بالتالي قمة الغباء السياسي الذي يمكن لشخص ما ، خصوصا اذا كان فلسطينيا ، ان يرتكبه . ولا بد من التمييز دائما ابدا بين الصهيونية واليهودية ، والا وقعنا فريسة لاحدى المقولات الصهيونية الاساسية وقبلنا بوجهة نظرها . ثم اين « التقدمية » ؟

ان الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في بلدان عدة هو احد العناصر التي تشكل عقدة الصهيونية وعقدها . ولا يزال حتى اليوم يلعب دورا مهما في تغذية النفسية الصهيونية العنصرية . وقد استغل كثيرا لحمل الاجانب على التعاطف مع اليهود ، الذين عرضتهم الصهيونية كانهم جميعا صهيونيون . ولذلك ليست هنالك اية محاذير في عرض صنوف الاضطهاد باعتبارها عاملا في مركب الصهيونية ، لا بد من الوقوف عليه ، اسوة بالعوامل الاخرى ، لكي نستطيع فهم هذه الظاهرة وبالتالي التصدي لها .

كذلك لا بد من التنويه الى ان كتاب « تاريخ الصهيونية » ليس موجها الى القارىء العادي ، ولذلك لا خوف على مثل هذا القارىء من ان « تضطرب » افكاره ؛ ان الكتاب ليس قصة مشوقة ولا شعرا مرسلا ، وبالتالي فان القراء العاديين لن يتهافتوا عليه ، وموضوعه لا يهمهم . وباعتقادنا ان قلة فقط من المتخصصين هي التي قد تقرأ مثل هذا الكتاب . وبحكم تخصصها واهتماماتها وقدرتها الذهنية لا خوف عليها . ولمثل هذه القلة ينبغي ان تقال الحقيقة بكاملها . وهذا ما هدفنا اليه عند عرض قصص اضطهاد اليهود .

ولا يكتفي سمير ايوب بان يعيب علينا حديثنا عن اضطهاد اليهود ، وينكر تأثيره في دعم الصهيونية ، بل ان له حتى « رأيا » في الموضوع ، اذ يقول (ص ١٥٨ ، العمود الاول) : « نحن [اي سمير ايوب] نشك كثيرا في ان يكون اليهود قد واجهوا اضطهادا بسبب ديانتهم » . ولا بد من الاشارة هنا الى ان كبار العلماء او الباحثين فقط ، الذين نشرت ابحاثهم العلمية على الملأ، يحق لهم ان يتحدثوا بهذه الطريقة من الثقة المطلقة بالنفس . ولم يصل الى علمنا ان سمير ايوب قد وضع يوما ما كتابا او كتب بحثا او دراسة او مقالا عن تاريخ اليهود ، يمكن ان يسمح له بالادعاء : « نحن نشك كثيرا ». وشكوك سمير ايوب ، على كل حال ، ليست في محلها ، اذ تنفيها الحقائق التاريخية البسيطة الغاية ، والتي يفترض في اي مثقف ان يكون على الملم بها . فمحاكم التفتيش ، مثلا ، التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية واشرفت عليها ، اضطهدت اليهود ـ وباعتراف الكنيسة الكاثوليكية نفسها فيما بعد ـ بسبب دينهم ، لانهم لم يكتفوا بـ « قتل » المسيح ، بل رفضوا ايضا اعتناق ديانته . وروسيا القيصرية اضطهدت اليهود على هذا الاساس ، وقبل ان تكون